اذا صحت النية حصل الثواب الجزيل على النيتين جميعا ، لأن الأعمال بالنيات ، فانه ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما من أهل ولا مال ولا ولد الا وأنا أحب أن أقول عليه : انا لله وانا اليه راجعون ، الا عبد الله بن عمر فانى أحب أن يبقى فى الناس . يؤيد ذلك ما ثبت فى صحيح مسلم ان النبى ﷺ قال « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث ، من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » وفى حديث أنس مرفوعا : « سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته ، فذكر منها أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » وهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قد سماه النبى ﷺ الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، ولا شك أن العبد إذا حصل له أجر مستمر بعد موته هو أولى من حصول أجر فى حياته ثم ينقطع بالموت ، فان العبد من أحوج الناس بعد موته الى الحسنات ، وبموته قد انقطع عمله الا ما أخبر به الصادق المصدوق فى هذا الحديث المتقدم ، فطلب الولد وبقائه أنفع للعبد فيما فهمت ، ولكن أولئك لما خالط قلوبهم قوة الايمان والتصديق بالقضاء والقدر ، والرضاء به ، برزوا بالقول وقل من يصبر على تحمل البلوى عند الحقيقة والله أعلم .

.....

﴿ الباب الثانى ﴾

فى البكاء على المصيبة وما ذكر العلماء فى ذلك

البكى أصله بكوى على فعول قال الجوهرى : البكاء يمد ويقصر ، فاذا مددت أردت الصوت الذى يكون مع البكاء ، وإن قصرت أردت الدموع وخروجها ، وبكيت الرجل وبكيته اذا بكيت عليه . قال الشاعر :

بكت عينى وحق لها بكاها ... وما يغنى البكاء ولا العويل

هذا من جهة اللغة ، وهو رقة ورحمة فى قلوب عباد الله ، فالبكاء على الميت مذهب الامام أحمد وأبى حنيفة : جوازه قبل الموت و بعده ، واختاره أبو اسحق الشيرازى ، وكرهه الشافعى وكثير من أصحابه بعد الموت، ورخصوا فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك[1] رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله ﷺ فلم يجبه ، فاسترجع وقال: « غلبنا عليك ياأبا الربيع » فصاح النسوة و بكين ،فجعل ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله ﷺ :« دعهن فاذا وجب فلا تبكين باكية » قالوا وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت . رواه الامام أحمد وأبو داود وهذا لفظه والنسائى وابن ماجه . قالوا وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه »وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتا.وعن ابن عمر أيضا أن رسول الله ﷺ لما قدم من أحد ، سمع نساء من بنى عبدالاشهل على هلكاهن يبكين ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكن حمزة لابواكى له » فجئن نساء الانصار فبكين على حمزة عنده ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال:«ويحهن إنهن هاهنا يبكين ما أنقلهن، مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعداليوم»رواه الامام أحمد وابن ماجه . وهذا صريح فى نسخ الاباحة المتقدمة ، والفرق بين ما قبل الموت و بعده أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذرا ، فاذا مات انقطع الرجاء وأبرم القضاء ، فلا ينفع البكاء .احتج أصحابنا ومن قال بقولهم ، فمن جوز البكاء قبل الموت و بعده . قال جابر بن عبدالله أصيب أبى يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكى ، فجعلوا ينهونى ورسول الله ﷺ لا ينهانى ، فجعلت عمتى فاطمة تبكى فقال النبى ﷺ: « تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه »

---

(١) هو بفتح العين المهملة وكسر المثناة فوق ، خزرجى

متفق عليه . وعن ابن عمر قال : اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فاتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية فقال: « قد قضى ؟ قالوا لا يارسول الله فبكى النبي ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال : « ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار الى لسانه أو يرحم » رواه البخاري وهذا لفظه ومسلم وعنده : وجده في غشية فقال : أقد قضى ؟ قالوا : لا يارسول الله ، الحديث . وهو من رواية يونس بن عبد الأعلى . وعن أسامة ابن زيد قال : كنا عند النبي ﷺ فارسلت اليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً أو ابناً لها في الموت ، فقال للرسول : ارجع اليها فاخبرها إن لله عز وجل ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده باجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب . فعاد الرسول فقال : انها قد أقسمت لتأتينها . قال فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وانطلقت معهم ، فرفع اليه الصبي ونفسه تقعقع كانها في شنة ، ففاضت عيناه ، فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يارسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء » رواه البخاري ومسلم * وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ قال ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، قال : فرأيت عيناه تدمعان ، قال فقال : « هل منكم من رجل لم يقارف الليلة ؟ فقال أبو طلحة أنا ، قال فانزل في قبرها » رواه البخاري * وعن أنس أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لي غلام فسميته باسم أبي ابراهيم فذكر الحديث ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ، وفي لفظ فاخذه فوضعه في حجره وقال يابني : لا أملك لك من الله شيئاً فقال عبد الرحمن بن عوف وأنس : يارسول الله أتبكي وتنهى عن البكاء ؟ فقال :

« يا ابن عوف إنها رحمة ومن لا يرحم لا يرحم ، ثم اتبعهما باخرى فقال : ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا مايرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون » رواه البخارى ومسلم بدون زيادة الالفاظ ، وفيه دليل على البكاء قبل الموت * وعن أنس أيضاً رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أخذ الراية زيد فاصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فاصيب ، ثم أخذها جعفر فاصيب ، و إن عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتذرفان » ثم أخذها خالد بن الوليد من غير أمره ففتح له . رواه البخارى * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فبكت النساء ، فجعل عمر يضربهن بسوطه ، فاخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : مهلا ياعمر ثم إيا كن ونعيق الشيطان . ثم قال : « انه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان » رواه الامام أحمد * وعن عائشة رضى الله عنها ان سعد ابن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما قالت : فوالذى نفسى بيده إنى لأعرف بكاء أبى بكر من بكاء عمر وأنا فى حجرتى . رواه الامام أحمد . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى جنازة ، فرأى عمر امرأة فصاح بها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « دعها ياعمر فان العين دامعة والنفس مصابة والعهد قريب » رواه ابن ماجه * وعن أسماء بنت يزيد قالت : لما توفى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إما أبو بكر و إما عمر ؟ أنت أحق من عظم لله حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تدمع العين و يحزن القلب ولا نقول مايسخط الرب لولا انه وعد صادق ، وموعود جامع وان الآخر تابع للاول لوجدنا عليك يا ابراهيم أفضل ما وجدنا و إنا بك لمحزونون » رواه ابن ماجه . وفى لفظ اتبكى أو ما نهيتنا عن البكاء ؟ قال : « ليس عن البكاء نهيت ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ،

صوت عند نغمة لهو ولعب ورنة شيطان، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنة شيطان ، وهذه رحمة ومن لا يرحم لا يرحم، يا ابراهيم لولا انه أمر حق، ووعده صادق وسبيل لا بد نأتيه، و إن آخرنا سوف يلحق بأولنا لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا و إنا بك لمحزونون » وقال الامام أحمد :حدثنا يزيد ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ماتت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال : « مهلا ياعمر ثم قال ابكين و إياكن ونعيق الشيطان ، ثم انه مهما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل » وذكر تمام الحديث وقد تقدم. وروى الامام أحمد أيضاً بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :« الحقي سلفنا الخير عثمان بن مظعون» .وبكت النساء فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر : « دعهن يبكين و إياكن ونعيق الشيطان » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة ، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان» وقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها ، فقد ثبت في حديث موت زينب ورقية بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء بعد الموت ، وقد جاء في آثار جمة أنه صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قبل عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه . وتقدم قصة جعفر وعبد الله بن رواحة وأصحابهما ، وكذلك صح عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قبل النبي ﷺ وهو ميت وبكى وأبكى ، وكذلك بكى علي على النبي ﷺ . فهذه الاحاديث كلها دالة على جواز البكاء قبل الموت وبعده من غير كراهة ، وما ذكره أصحاب الشافعي ومن قال بقولهم من

الكراهة بعد الموت مستدلين بما تقدم من أحاديث النهى فكلها محمولة على البكاء الذى معه ندب ونياحة .ويؤيد ذلك مايأتى ذكره: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه ، وفى لفظ يعذب بمانيح عليه * وأما من ادعى النسخ فى حديث حمزة فلا يصح أن معناه لا تبكين على هالك بعد اليوم من قتلى أحد . ويدل على ذلك ان نصوص الاباحة أكثرها متأخرة عن غزوة أحد ، منها حديث أبى هريرة لأن إسلامه وصحبته كانا فى السنة السابعة ، ومنها البكاء على جعفر وأصحابه وكان إستشهادهم فى السنة الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب بنت رسول الله ﷺ كان فى الثامنة أيضاً ، والبكاء على قبر أمه ﷺ كان عام الفتح ، وأما قولهم انما جاز البكاء قبل الموت حذراً بخلاف ما بعد الموت. جوابه : إن الباكى قبل الموت يبكى حزناً وحزنه بعد الموت أشد لانه قبل الموت ربما يرتجى و بعده قد فقدت الرجوى فبكى افراق لا عودة بعده فى الدنيا .وهذا معنى قوله ﷺ : « إن العين لتدمع و إن القلب ليحزن ولا نقول ما يسخط الرب» ومنها قال البخارى قال عمر: دعهن يبكين على أبى سلمان مالم يكن نقع أو لقلقة . والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت . حدثنا اسحق بن منصور عن أبى رجاء عبد الله بن واقد عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب قال : كنا مع النبى ﷺ فى جنازة ،فلما انتهينا الى القبر فاستدرت فاستقبلته فاذا هو يبكى حتى بل الثرى. ثم قال : اخوانى لمثل هذا اليوم فاعدوا .رواه الامام أحمد

﴿ فصل ﴾

وقد ذكر بعض العلماء إن البكاء الذى روى عن النبى ﷺ انه فعله وأباحه أو أمر به للاستحباب هو البكى الذى هو دمع العين ورقة القلب ورحمته ، والذى نهى النبى ﷺ عنه هو البكاء بالمد الذى يستلزم الصراخ والندب والعويل. يشهد لهذا قوله : ما كان من العين والقلب فمن الله عز وجل ، وما كان من اليد واللسان

فمن الشيطان ، ونهى عن رنة الشيطان وهو رفع الصوت عند المصيبة . قلت : هذا وإن كان حسناً يعكر عليه ما حكيناه عن الجوهرى: إن البكاء يمد ويقصر فهو لغتان فلا فرق فيه بين المد والقصر والله أعلم *

﴿ فصل ﴾

وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم فى حال مصيبته وبكائه بشئ يحبط به أجره ، ويسخط به ربه ، ممايشبه التظلم فان الله تعالى عدل لايجور ، وعالم لايضل ولايجهل ، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصالح ، مايفعل شيئا الا لحكمة ، فانه سبحانه له ما أعطى وله ما أخذ ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو الفعال لما يريد القادر على مايشاء له الخلق والأمر * بل إنما يتكلم بكلام يرضى به ربه ، ويكثر به أجره ، ويرفع الله به قدره * وقد روى ابن أبى الدنيا باسناده قال : حدثنى يونس بن محمد المكى قال: زرع رجل من أهل الطائف زرعاً ، فلما بلغ اصابته آفة فاحترق ، فدخلنا عليه لنسليه عنه ، فبكى . وقال : والله ماعليه أبكى ولكن سمعت الله تعالى يقول :(كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته). فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذى أبكانى * قال أبو العرب : لما أمر عبد الله بن زياد بالبلجاء أن يمثل بها ، جاؤا ومعهم الحديد والحبال ، فقالت : اليكم أتكلم بكلام يحفظه عنى من سمعه قال : فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت : هذا آخر يومى من الدنيا وهو غير مأسوف عليه ، وأرجو أن يكون أول أيامى من الآخرة وهو اليوم المرغوب فيه ، ثم قالت: والله إن علمى بفنائها هو الذى زهدنى فى البقاء فيها ، وسهل على بلوائها فما أحب تعجيل ما أخر الله ، ولا تأخير ماعجل الله ، والحمد لله على السراء والضراء وعلى العافية وعلى البلاء ، ثم قالت: كنت أؤمل فى الله ماهو أكثر من هذا . قال ثم انهم قطعوا يديها ورجليها ، فجعل الدم لا يرقأ ، فقالت : حياة كريمة وميتة طيبة لأنى نلت ما أملت يانفس من جزيل

ثواب الله فقد نلت سروراً دائما لا يضرك معه كدر ، وهى حين قطعوا يديها ورجليها فلم تتكلم ، فقيل لها ذلك فقالت : شغلنى هول المطلع عن ألم حديدكم هذا ، ثم أتوا بالنار لتكوى بها فلما رأتها صرخت ، فقيل لها لقطع اليدين والرجلين لم تنطقى ، فلما رأيت النار صرختى ؟ فقالت: والله ليس من نار كم صرخت ولا على دنياكم أسفت ، ولكننى ذكرت بها النار الكبرى فكان الذى رأيتم من ذلك. قال فأمر بها فسملت عيناها ، فقالت : اللهم قد طال فى الدنيا حزنى فأقر فى الآخرة عينى. ثم قالت : لئن كنت على بصيرة من أمرى إن هذا القليل فى جنب ما أطلب من ثواب الله . قال فما تكلمت بغيرها حتى ماتت رحمها الله تعالى . وكانت البلجاء من شيعة على رضى الله عنه ، وكان قد بلغ الحسن بن على أن ابن زياد يتتبع شيعة على فيقتلهم . فقال : اللهم اقتله وأمته حتف أنفه . والاسناد ، قال أبو العرب : حدثنا عبد الله بن الوليد عن جابر بن خداش بن عجلان ثنا سالم بن عمير عن سالم الهلالى فذكره .

وليحذر العبد أيضاً أن يدعو على نفسه ، فان النبى ﷺ قال لما مات أبو سلمة قال : « لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون » . وليعلم أيضاً أن البكاء يضر الحى والميت ، فان الحى يخاف على عينيه كما قال الله تعالى فى قصة يعقوب عليه السلام: « وابيضت عيناه من الحزن » والميت لا يستريح به * فقد ذكر الحافظ أبو شجاع شيرويه الديلمى باسناده عن على بن الحسين قال : بينا داود الطائى جالساً مع أصحابه يوماً إذ غفا وهو معهم ثم انتبه فقال : أتدرون ما رأيت فى نومتى هذه ؟ دخلت الجنة فرأيت فيها صبيا نايلهون بالتفاح يناول بعضهم بعضاً ، وصبى ناحية عنهم جالس حزين يرى الانكسار عليه بين ، فقلت مابال ذلك الصبى لا يلهو معكم كما تلهون ؟ قالوا : ذاك حديث عهد بالدنيا وأمه تكثر البكاء عليه فانكساره لكثرة بكاء أمه عليه ، قال فقلت: أين

منزلهم ؟ قالوا فى قبيـلة آل فلان قال : فقلت من أبويه قالوا فلان وفلانة قلت فما اسمـه ؟ قالوا فلان . فقال داود لأصحابه فانطلقوا قال فانطلقوا فاتوا القبيل فسألوا عن أبويه فلقيهما أو لقى أحدهما فقال لهما مارأى فى منامه ، فجعلت الأم على نفسها أن لاتبكي عليه أبداً *

(فصل)

والبكاء والأسف على من فرط فى جنب الله أو من خلط عملا صالحا وآخر سيئاً . وهو داخل تحت المشيئة وعنده من الندامة كامثال الجبال ومن الحسرات كعدد الرمال ، فان الصحة لايعرف مقدارها على الحقيقة الا المرضى كما ان العافية لايعرف مقدارها الا المبتلى ، فـكذلك الحياة لا يعرف مقدارها الا الموتى ، لأنهـم قد ظهرت لهم الامور ، وانكشفت لهم الحقائق ، وعلموا مقدار الاعمال الصالحة اذ ليس ينفق هنالك الا عمل زكى ، ولا يرتفع هنالك الا عبد تقى ، فالمقصر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات ، ونظر فيما فيـه فرط ، والمهمل العمل بالجملة يكون تمنيه الرجوع أكثر ، وحرصه على العودة أشد ، فالواجب اغتنام الصحة والفراغ المغبون فيهما كثير من الناس ، و إنما يحصل للشخص الحزن والبكاء على من أصيب به لذهوله عمـا بين يديه من سكرات المـوت وغصصه ، والانفراد فى القبر وحيداً ذليلا مستوحشاً ، ثم مسائلة منكر ونـكير عليهما السلام ، وطول مكثه تحت الثرى إما منعماً و إما معذباً ، ثم من بعدذلك خروجه من قبره وقيامه لرب العالمين ، ثم وقوفه الطويل فى المحشر وما يرى من أهوال يوم القيامة ، ثم حسابه بين يدى الله تعـالى ووزن أعماله وتطاير الصحف والمحاسبة على مثاقيل الذر ، وأنه وجد ما عمل محصياً عليه محرراً فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وانه بين رجاء وخوف إما لذات اليمين أو لذات الشمال ، فلو استشعر المصاب هذه المصائب العظيمة التى بين يديه وهو غافل عنها ، غير مستعد لها ، لشغلته عن مصابه باحبابه ، ولرجع

الى الصبر والرضاء بما قدره وأمضاه ، فان قدر على نفع نفع ميته به ، والا فلا يؤذيه بما نهى الشرع عنه من الندب والنياحة ولطم الخدود وشق الجيوب ، وغير ذلك من الافعال والاقوال المكروهة التي ذمها السلف والخلف كما سنبينه بعد ان شاء الله ، نسأل الله تعالى العافية فى الدنيا والآخرة *

﴿ فصل ﴾

والحزن لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ، لا فى المصيبة ولا فى غيرها ، بل قد نهى الله عنه فى كتابه وإن تعلق بأمر الدين ، لكن منه محمود ومذموم . كقوله تعالى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » وقوله : « ولا تحزن عليهم » وقوله تعالى فى حق نبيه محمد ﷺ وأبي بكر : « إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وقوله تعالى : « فلا يحزنك قولهم » الآية. ونحو ذلك من الآيات كثير فى القرآن . وماذاك الا لأن الحزن لا يجلب منفعة ، ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به ، لكن لا يأثم به صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم ، كما تقدم ذكره من قول أو فعل كما قال النبي ﷺ : « إن الله لا يؤاخذ بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يؤاخذ بهذا ـ وأشار بيده الى لسانه ـ أو يرحم » فدل على أنه لا يأثم إلا اذا اقترن به ما يجلب الاثم ويؤيده أيضا قوله ﷺ : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب » قال مالك بن دينار : القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب ، كما أن البيت اذا لم يسكن خرب . وقال عبد الله بن احمد : حدثني علي بن مسلم ثنا بشار ثنا جعفر ثنا ابراهيم بن عيسى . قال : ما رأيت أطول حزنا من الحسن وما رأيته الا حسبته حديث عهد بمصيبة . ثم ذكر بسند عن مالك قال : بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك . ومنه قوله تعالى : « وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن » فكل هذه الادلة تدل على أنه لا يأثم به صاحبه ، فالبكاء والحزن على الميت على وجه الرحمة والرقة

حسن ، ولا ينافى الرضا والصبر بخلاف البكاء عليه والحزن لفوت حظ الحى منه ، فاذا اقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن . فالحزن على مصيبة فى دينه ، وعلى مصائب المسلمين عموما ، فهذا يثاب على مافى قلبه من حب الخير وبغض الشر، وتوابع ذلك. ولكن الحزن على ذلك اذا أفضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد ، وجلب منفعة ودفع مضرة نهى عنه ، وكان حسب صاحبه الأثم عنه من جهة الحزن ،وأما إن أفضى الى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله كان مذموما عليه من تلك الجهة ، وان كان محمودا من جهة أخرى . فانه إن كان المحزون عليه لايمكن استدراكه لم ينفع الحزن . فالعاقل يدفعه عن نفسه ولا يضم الى مصيبته أخرى . وليعلم أنه سيسلو بعد حين والله أعلم *

﴿ الباب الثالث فى تحريم الندب والنياحة وشق الثياب ﴾

الندب اسم للبكاء على الميت وتعداد محاسنه ، قاله الجوهرى ، والاسم الندبة بالضم ، وقيل تعداد شمائل الميت فيقال : وا كريماه واجبلاه والهفاه . والنوح قال القاضى عياض :هو اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات، وذكر فى المغنى أنه تعداد محاسن الميت بلفظ النداء ،الا أنه يكون بلفظ الواو وربما زيد فيه الالف والهاء مثل قولهم : وارجلاه واجبلاه وانقطاع ظهراه ونحوه . وقال غيره : قال أهل اللغة النياحة اسم لاجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات كما ذكر القاضى عياض والتناوح التقابل ، ثم استعمل فى صفة بكائهن بصوت ورنة وندبة. واعلم رحمك الله أن المطلوب فى المصيبة السكون والصبر ، والرضاء بقضاء الله تعالى ، والحمد والاسترجاع والصدقة عن المصاب به والدعاء له ، وأما الندب والنياحة وشق